ومتوسطة ملونة على ورق مقوى، وعلى لافتات كبيرة من قماش. الشباب ينتشرون ما هربوه إلى داحل المسحد من لا فتات وبيانات. تعلو الهتافات، «بالروح بالدم نفدك يا فلسطين»، «بالروح بالدم نفديك يا عراق»، «لا إله إلا الله إسرائيل عدو الله»، «لا إله إلا الله، آمريكا عدو الله»، «واحد، اتنين الجيش المصري فين؟! واحد اثنين الجيش العربي فين؟!»، يسبق الهتاف إلى الشوارع، تتبعه الأجسام، تتكتل، تحتشد، تتمدد وتستطيل ساعية إلى الخروج من باب أضيق بكتير من حجمها تردها الهراوات والكتلة المدرعة. مرة أخرى تحاول، تتقلص، تحتشد، تدفع فترتد. تحاول من جديد.

شخص لا أعرفه يدفع بمقعدي. أنظر إليه مستفهما، يحدق فيّ: «هنا بهدلة يا حاج، يلاّ بالسلامة!» يجرني بسرعة في اتجاه باب جانبي. أدير رأسي: «لم أطلب منك المساعدة». لم أفهم إلا عند الباب وأنا أرى رجال يشبهونه يحثون بعض النساء وكبار السن على المغادرة: «يلاّ يا ست»، «الخروج من هنا يا حاجة»، «تعالي من هنا يا أمي، يلاّ بدل الضرب والبهدلة!» «إيه يا بني واقف هنا ليه؟ تفضل من غير مطرود!» عندما انتبهت أن الرجل من مخبري المباحث كنت خارج المسحد وشخصان مفتولا العضلات يشبهانه يرفعان الكرسي ويجتازان بي الدرجات المعدودة التي تفصل البوابة عن مجرى الشارع. أي مجرى؟ كان المجرى مسدودا بقوات الأمن يحدد طريق الخروج بالحارة التي تمتد يسار الخارج من المسجد. درت بالمقعد قاصدا الطريق المؤدية إلى الميدان ومسجد الحسين، ولكن أحدهم أدار المقعد عكس ما أردت قائلا: يلاّ يا حاج، بالسلامة! دفع الكرسي دفعة قوية فوجدت نفسي أدرج في الحارة الضيقة، في عكس الاتجاه الذي قصدته.